

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

شرح حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه - "اذكركم الله في أهل بيتي" وحديث ابن عمر رضي الله عنهما - "ارقبوا محمداً - صلى الله عليه وسلم - في أهل بيته"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب إكرام أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبيان فضلهم أورد المصنف سرمه الله - حديث يزيد بن حبان قال: انطلقنا أنا وحسين بن سبرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنهم - فلما جلسنا إليه قال له حسين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه...<sup>(١)</sup>.

زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه - من صغار الصحابة، وغزا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - سبع عشرة غزوة، وروى عنه نحواً من سبعين حديثاً، وكان قد نشأ يتيناً، وكان يخرج مع عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه -.

وزيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه - هو من الأنصار من الخزرج، وهؤلاء من التابعين كانوا يغبطون الصحابة على صحبتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ورؤيتهم له، ولذلك لما قال بعض التابعين للنعمان رضي الله تعالى عنه - طوبى لهاتين العينين اللتين رأينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا ابن أخي لا تقل ذلك، لقد رأينا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإن الرجل يُفتَن في دينه، الرجل يكون مؤمناً وأبوه كافراً، ويكون مؤمناً وأمه كافرة<sup>(٢)</sup>.

فالشاهد أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم - كانوا يبينون للتابعين أن أناساً رأوا النبي - صلى الله عليه وسلم - ومع ذلك كروا على وجوههم في النار، فليس كل من رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن هذا يعني أنه ينقاد للإيمان بالضرورة، فكم من أناس رأوه - صلى الله عليه وسلم - وعادوه أشد المعادة، والموفق من وفقه الله - تبارك وتعالى -، فيحمد الإنسان ربها - تبارك وتعالى - على الهدى، وكان بعض هؤلاء التابعين يقولون للصحابية رضي الله تعالى عنهم -: والله لو رأينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما جعلناه يمشي على الأرض، لحملناه على أعناقنا، وهذه أمور كانوا يعزمون عليها وهم صادقون في ذلك، ولكن إذا ابتنى الإنسان فإنه قد لا يصبر، ولهذا لما كان في يوم الخندق، كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول لأصحابه: ((من يأتيني بخبر القوم وأضمن له العودة؟)) الرجعة، فما يقوم أحد، وفيهم أبو بكر وعمر، ويقول: ((من

<sup>١</sup> - أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة - رضي الله تعالى عنهم -، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه -، برقم: (٤٠٨)، مسند: (١٨٧٣/٤).

<sup>٢</sup> - أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٠/٣٩)، برقم: (٢٣٨١٠)، وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب ذكر تفريح المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بين الحق والباطل بالرسالة، (٤٤٩/١٤)، برقم: (٦٥٥٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٥٣/٢٠)، برقم: (٦٠٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/٧٧٩)، برقم: (٢٨٢٣).

يأتيني بخبر القوم وأضمن له الجنة؟)، وما يقوم أحد، وفيهم أبو بكر وعمر، ويقول: ((من يأتيني بخبر القوم ويكون رفيقي في الجنة؟))، كل واحد منا حينما يسمع هذا الكلام يقول: لو كنت موجوداً لطرت، لكن كان معهم أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم، ففرق بين كون الإنسان يحسن الظن بنفسه، ويتخيل أنه يستطيع أن يفعل أشياء كثيرة جدًا، وإذا جاءت الحقائق تبين له خلاف ذلك.

فأقول: هؤلاء من التابعين كانوا يقولون له: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، ولا شك أن من لقي النبي -صلى الله عليه وسلم- وآمن به فقد لقي خيراً كثيراً، يقولون: رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا شرف تحصل به الصحابة؛ لأن الصحابي على الراجح في ضابطه أنه من لقي النبي -صلى الله عليه وسلم- مؤمناً به، ولو لحظة، فهذا هو الصحابي، ولذلك قد يكون مكفوف البصر، ما يراه، ولهذا يقولون: من لقي النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولهذا فإن شرف الصحابة لا يدانيه شرف، مهما عمل العاملون بعد الصحابة فإنهم لا يبلغون هذا الشرف، فإنه قد فات، لا يمكن لأحد أن يدركهم فيه، مع تفاوت الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسمعت حديثه، وهذا فوق مجرد الرؤية أو المقابلة، قد يلقاء الإنسان ولا يسمع حديثه.

قال: وغزوت معه، ولم ينفع غزوة واحدة، وإنما سبع عشرة غزوة، ولا شك أن غزوة واحدة لا يعدلها شيء من نفقات الدنيا لو أنفقناها اليوم، ولهذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه))<sup>(٣)</sup>.

يقول: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: يا ابن أخي -وهذه الكلمة يقولها الإنسان تلطفاً- لقد كبرت، أو كبرت سني، وقدم عهدي، ونسبيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، جاوز الثمانين، وكان الصحابة يتخرجون من التحدث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بعضهم كان إذا أراد أن يحدث يصرف وجهه، وإذا ذكر الحديث قال: أو كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو نحو هذا، من شدة التحرز، وكان عمر -رضي الله تعالى عنه-، يقول للصحابة: أقروا الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا شريككم، وكان يعاتب على كثرة التحدث عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ولهذا لما جاءه أبو موسى الأشعري واستأنف عليه، فطرق الباب، وقال: هذا أبو موسى، مما أجباه عمر، ثم استأنف ثانية، وقال: هذا الأشعري، مما أجباه عمر، ثم استأنف الثالثة، ثم انصرف، فأرسل إليه عمر، فردد إليه، فقال: ما منعك؟ فقال: استأنفت ثلاثة وسمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((إذا استأنف أحدكم ثلاثة فلم يؤذن له فليرجع))، فقال عمر: لتأتين عليه بالبينة أو لأفعلن بك وأفعلن، فجاء أبو موسى الأشعري يرتعد، وعمر -رضي الله تعالى عنه- كان مهيباً، كان إذا مشى ومعه الصحابة هو يسرع المشية، مشيته قوية، فكان إذا التفت جثوا على الركب من الخوف والهيبة،

<sup>(٣)</sup> - أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لو كنت متذملاً خليلاً))، (٨/٥)، برقم: (٣٦٧٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب تحريم سب الصحابة -رضي الله عنهم-، (٤/١٩٦٧)، برقم: (٢٥٤٠).

الشاهد أن أباً موسى رضي الله تعالى عنه - جاء إلى مجلس من الأنصار وهو مضطرب وخائف، قالوا: ما بك؟ فقال: أنسدكم الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول كذا وكذا وكذا؟، فقلوا: كلنا سمعه، والله لا يقوم معك إلا أصغرنا، فقاموا معه وشهدوا بذلك، فقال عمر: أما إني لم أتهكم ولكن أردت، يعني نكر أنه يريد أن يحتاط الناس في التحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup>.

فهذا زيد بن أرقم كان يحتاط، وكانوا يتونقون، ويدققون في العبارة، وكلامهم وما نقل عنهم في ضبط ذلك عجب عجب، لم يحصل لأمة قط، ولهذا من لم يعرف هذه الأمور يقع منه من ألوان الجرأة شيء عجيب، يعني: من الناس من يقال له: هذا الحديث أخرجه البخاري، قال: وإذا أخرجه البخاري، يمكن أن يكون متسوّساً، هذا تحتاج أن تشرح له شرحاً طويلاً حتى تصل معه كيف يفهم الجهود التي بذلت في ضبط السنة، وأنه ما يمكن أن يضيع لفظ، حتى يعرف ماذا يعني أخرجه البخاري، وبعض الناس يسمع حديثاً لا يصل إليه عقله، المرأة لها نصف الميراث، أو أن الذباب إذا سقط في إناء أحدهم أنه يغمس وكذا، يقول: لا، لا، نقول له: هذا الحديث مخرج في البخاري، يقول لك: وإذا مخرج في البخاري.

فالحاصل أن الصحابة كانوا يتحرزون.

يقول رضي الله تعالى عنه: **فَمَا حَدَثْتُكُمْ فَاقْبِلُوهُ وَمَا لَا فَلَا تُكْفُرُونِيهِ.**

ثم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم - خطيباً بماء يدعى خمماً، وخم هو: عبارة عن ماء يخرج من عين يصل إلى مكان سمي بهذا الماء، كما يقال: بدر بالنسبة للبئر التي وجدت يقال لها: بئر بدر، فسمى المكان كله ببدر، فهذا الماء يقال له: خم، وهو قريب من الجحفة، بين مكة والمدينة، عن الجحفة نحو ثلاثة أميال.

حمد الله وأثنى عليه ووعظ ونذكر ثم قال: **((أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ...))** طبعاً هذه ليست خطبة جمعة، إنما هي كلمة ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم - لهم؛ لأنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم - يصلي بأصحابه الجمعة إذا خرج من المدينة، ولهذا فإن المسافر لا يشرع له إقامة الجمعة، نعم لو مر ببلد وأراد أن يصلي معهم، لكن لو أن المسافرين قالوا: نجتمع الآن نتوقف نريد أن نصلي الجمعة، أو هم مسافرون في سفينه فقالوا: نصلي الجمعة، أو ذاهبون إلى البرية مجموعة كبيرة من الناس فقالوا: سنصلي الجمعة، فإن هذا العمل على خلاف السنة، يصلون ظهراً هذه هي السنة.

قال: **((أَمَّا بَعْدُ))** وهذه الكلمة تقال لفصل الكلام، **((أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ))** وألا هذه للتتبّيه **((إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِي رَسُولٌ رَبِّي فَأَحِبُّ))** يوشك يعني: يقرب، يعني الأجل، **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيَّتُونَ﴾** [الزمر: ٣٠]، **((وَأَنَا تَارِكٌ فِيمَكُمْ تَقَلِّين))** تقلين مفرده تقل ويشتهر للشيء العظيم، وبعض أهل العلم يقول: لتقل التوبة من أجل القيام بحقهما، فالشاهد أن التقلين هنا قال: **((أَوْلَاهُمَا كَتَبَ اللَّهُ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخَذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَسْكُوا بِهِ))**، هذا التقل الأول، والله عز وجل - جعل هذا القرآن هدى للناس، **﴿إِنَّهُمْ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾** [الإسراء: ٩].

<sup>٤</sup>- أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلثا، (٨/٥٤٥)، برقم: (٦٢٤٥)، ومسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان، (٣/١٦٩٤)، برقم: (٢١٥٣).

قال: ((وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ)), فحث على كتاب الله ورَغْبَ فيه، ثم قال: ((وَأَهْلُ بَيْتِي))، أهل بيته - صلى الله عليه وسلم - هم أعلم الناس بأحواله، يخالطونه في داخل بيته، ويعرفون منه من الأمور الخاصة ما لا يعرفه عامة الناس، ((أَنْكَرَ كَمَ الَّذِي فِي أَهْلِ بَيْتِي)) فقال له حسين، هذا التابعي يسأل زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه - قال: ومن أهل بيته يا زيد؟، أليس نساؤه من أهل بيته؟ نحن نذكرنا لكم بالأمس أن أهل البيت يطلق بإطلاقات متعددة، إطلاق ضيق جدًا وهم أصحاب النساء، لما النبي - صلى الله عليه وسلم - جاء بكساء أسود من شعر، فجاءت فاطمة فأدخلها فيه، ثم جاء عليٌ فأدخله فيه، ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه، فقال: ((هُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي)) قرأ الآية التي من سورة الأحزاب **{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُنْذِهَ عَنْكُمُ الرَّجُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا}** [الأحزاب: ٣٣]<sup>(٥)</sup>. فهذا أضيق إطلاق.

الإطلاق الذي أوسع منه يدخل معه النساء، والآيات التي في الأحزاب كلها في نسائه، فهن من أهل بيته، والإطلاق الذي هو أوسع من هذا بنو هاشم وبنو عبد المطلب، كذلك ما ذكره أهل العلم من أهل البيوت الأربع آل عباس وآل جعفر وآل علي وآل عقيل، هؤلاء الأربع الذين منعوا من الزكاة. الشاهد أنه هنا قال: أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.

هو ما أنكر هنا أن نسائه من أهل بيته، لكن قال: المقصود بأهل البيت - يعني: بإطلاق أضيق - من حرم الصدقة بعده، وليس أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - كذلك.

من أهل العلم من يحاولون أن يجمعوا بين هذا، وهل هو متناقض؟، ما في أي تناقض، يقول: نساؤه من أهل بيته، يعني: بأحد الإطلاقات، ولكن المقصود هنا كما قال: ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟، قال: نعم. وفي رواية: ((أَلَا وَإِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ تَقْلِيْنَ أَحَدَهُمَا كِتَابَ اللَّهِ وَهُوَ حِبْلُ اللَّهِ)) الحبل: هو الشيء الذي يتوصل به إلى غيره، فحبـل الله هو الذي يتوصل به إلى جنته ومرضاته ودار كرامته، قال: ((وَهُوَ حِبْلُ اللَّهِ مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ))<sup>(٦)</sup>.

وجاء بحديث ابن عمر رضي الله تعالى عنه - عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه - موقوفاً عليه أنه قال: "ارْقُبُوا مُحَمَّداً - صلى الله عليه وسلم - فِي أَهْلِ بَيْتِهِ" <sup>(٧)</sup>. رواه البخاري. ومعنى أرقـبـوهـ: راعـوهـ واحـترـمـوهـ وأـكرـمـوهـ فـي أـهـلـ بـيـتـهـ، يعني: بإـكرـامـهـ وـتعـظـيمـهـ وـإـجلـالـهـ، وـتقـدـيرـهـ، ومـعـرـفـةـ أـقـدـارـهـ، وـمحـبـتـهـ.

٥- أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة - رضي الله تعالى عنـهمـ، بـاب فـضـائـلـ أـهـلـ بـيـتـ النـبـيـ - صلى الله عليه وسلم - (١٨٨٣/٤)، رقم: (٢٤٤).

٦- أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة - رضي الله تعالى عنـهمـ، بـاب مـنـ فـضـائـلـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ - رضي الله عنهـ - (١٨٧٤/٤)، برقم: (٢٤٠٨).

٧- أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، بـاب مـنـاقـبـ قـرـابـةـ رـسـولـ اللـهـ - صلى الله عليه وسلم -، وـمـنـقـبةـ فـاطـمـةـ عـلـيـهـاـ السـلـامـ - بـنتـ النـبـيـ - صلى الله عليه وسلم -، (٢٠/٥)، برقم: (٣٧١٣).

هذا، وأسأل الله -عز وجل- أن يحشرنا وإياكم تحت لواء نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأن يسقينا شربة من حوضه لا نظمه لا بعدها أبداً، وأن يجعلنا وإياكم من أتباعه حَقّاً، ومن أوليائه، وأن يرزقنا شفاعته، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا المسلمين، وأن يصلح أحوالنا وأحوال إخواننا المسلمين في كل مكان، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.